الصورة السمعية عند الشعراء المخضرمين

الباحث/ محمود سعد محمد محمد
إشراف
أ.د/ حسن إسماعيل عبدالغني

مدخل:

تحتل حاسة السمع مكانة متميزة " فلقد اهتم الإنسان بسمعه منذ عصر مبكر، منذ كان يعيش في الكهوف، فكان يسمع أصوات الحيوانات المختلفة، ويسمع ما يدور في الطبيعة من أصوات، منها ما تثير مخاوفه؛ لغموضها، ومنها ما تشعره بالخوف ليكون متحفزًا حذرًا، وفي أحايين كثيرة كان يحاول تقليدها، مما يتيح لنا القول إن اللغة في أصل نشأتها سمعية، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها من الأصوات المسموعات."[١]

وتتبين أهمية حاسة السمع في أن " العقل لا يستطيع أن يعمل إذا لم يعتمد على الحواس، فالحواس عماله، ولابد للملك من عمال، على أن أخص هؤلاء العمال بالعقل هما: السمع والبصر؛ لأنهما خادما النفس في السر والعلانية، ومؤنساها في الخلوة، وممداها في النوم واليقظة"[٢]، كما يرى أبو حيان التوحيدي أن " كلًا من حاستي السمع والبصر من الحواس العليا؛ لأنهما يقومان على خدمة العقل والنفس أما باقي الحواس فهي دنيا تقوم على خدمة الجسد.[٣]

وفي مجال الشعر تعرف الصورة السمعية بأنها " كل صورة اعتمد الشاعر في رسمها على حاسة السمع، وليس من الضروري ألا تشاركها حاسة أخرى، لكن الغالب عليها هو هذه الحاسة"[٤]، وللصورة السمعية مكانة متميزة في الشعر أيضًا؛ لأن" أداة

---

(١) ابن جني (أبو الفتوح عثمان بن جني) ت ٣٩٢ ه: الخصائص، ت/ محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ١ / ٤٦.

(٢) حسين الصديق: فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي، دار الرفاعي ودار القلم العربي، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م، ص ١١١، ١١٢.

(٣) نفسه، ص ١١٢.

(٤) زيد الجهيني: الصورة الفنية في المفضليات، ص ٢٣١.

الشعر الألفاظ والأصوات وهي السبب في كون الصور الموحى بها عند القراء تختلف من قارئ إلى آخر."[١]

أولاً: الصورة السمعية ودلالات القوة:

رسم الشاعر المخضرم صورة سمعية للتعبير عن القوة والشجاعة بطرق مختلفة، من خلال أصوات تقارع السيوف، وأصوات الخيل وسط ساحة القتال، وبطرق مختلفة كثيرة، ولقد وصف الحطيئة فتيان يقدمون على الموت بكل جرأة وشجاعة عبر صورة سمعية فقال:

وفتيان صدقٍ من عدىٍّ عليهمُ صفائحُ بُصرى عُلِّقت بالعواتق

إذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهُمُ ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وطاروا إلى الجُرد العتاق فألجموا وشدَّوا على أوساطهم بالمناطق

أولئك آباءُ الغريبِ وغاثةُ الصريخ ومأوى المرملين الدرادق

أحلَّوا حياض الموت فوق جباهِهِم مكان النواصي من وجوه السوابق[٢]

وفي هذه الأبيات شَكَّلَ الشاعر صورته الشعرية من خلال توظيف المفردات السمعية (دعوا، يسألوا، دعاهم، الصريخ) للدلالة على القوة والشجاعة، فالشاعر يصف هؤلاء الفتيان بأنهم شاهرون سيوفهم، إذا دعوا إلى قتال يقدمون عليه بكل جرأة وشجاعة ولم يسألوا مَن الداعي إلى القتال، وقاموا فاستعدوا وتهيئوا لخوض المعركة، وهم غاثة المستغيثين ومأوى الصبيان الصغار، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على القوة والشجاعة.

---

(١) د/ عز الدين: الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢ م، ص ٣٠٢.

(٢) الحطيئة: ديوانه، ص ١٣٧. الصفائح: السيوف التي بدت صفحتها، بصرى: بلد في الشام تنسب إليها السيوف، العواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق، الخوافق: المتحركة والمضطربة، الجرد العتاق: الخيل الكريمة، المناطق: جمع منطقة وهو ما يشد به الوسط استعدادًا وتهيوءًا، الصريخ: المستغيث، المرملين: المقترين الفقراء، الدرادق: جمع دردق وهو الصبي الصغير، الحياض: جمع حوض، وحوض الموت: مجتمعه، النواصي: جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس.

كما يفتخر حسان بن ثابت بقوته وشجاعته ويصف أبا سفيان[1] بالجبن عبر صورة سمعية فيقول:

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني، فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هواءُ

وأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء

كأنّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأسٍ، تُعفيِّها الرّوَامِسُ والسّمَاءُ

هجوتَ محمدًا، فأجبتُ عنهُ، وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

أتَهْجُوهُ، ولَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ، فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ

هجوتَ مباركًا، برًا، حنيفًا، أمينَ اللهِ، شيمتهُ الوفاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ، ويمدحهُ، وينصرهُ سواءُ[2]

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي (أبلغ، أجبت) عبر السياق للدلالة على القوة والشجاعة، حيث إن سيوف قومه جعلت أبا سفيان عبدًا ذليلًا من أثر الضرب بها – ومن المعروف أن السيوف تحدث أصواتًا عند الضرب بها –، كما أجاب الشاعر مدافعًا عن رسول الله ﷺ حينما هجاه أبا سفيان، كما بين أن هجاءه له ومدحه سواء فهو ذليل أثير، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على قوة وشجاعة قومه.

كما يفتخر حسان بن ثابت بقوته وشجاعته، فنراه يقول:

ألا أبلغ المستمعينَ بوقعةٍ، تخفُّ لها شمطُ النساءِ القواعدُ

وظَنُّهُمُ بي أنّني لِعَشِيرَتي علَى أيِّ حالٍ كانَ حامٍ وَذائِدُ

فإنْ لَمْ أُحَقِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنٍ، فلا سقتِ الأوصالَ مني الرواعدُ

---

(1) هو المغيرة بن الحارث بن عبد الطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخو رسول الله من الرضاعة. كان يألفه في صباهما.

(2) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ٢٠. المجوف، ومثله النخب والهواء: الجبان لا قلب له، عبدًا: ذليلًا، عبد الدار: بطن من قريش كان لهم اللواء والسقاية والحجابة والرفادة، الحنيف: الذين يدين بالحق.

ويعلـــمُ أكفـــائي مـــن النـــاسِ أننـــي أنـــا الفـــارسُ الحَـــامي الـــذِّمارِ المُناجِـــدُ
ومـــا وجـــدَ الأعـــداءُ فـــيّ غميـــزةً، وَلا طَـــافَ لـــي مِـــنهُمْ بوَحْـــشيَ صَـــائِدُ
وأن لم يَـــزَل لـــي منـــذُ أدركـــتُ كاشِـــحٌ، عَـــدُوٌّ أُقَاسِـــيهِ، وآخَـــرُ حَاسِـــدُ[1]

شَكَّلَ الشاعر صورته الشعرية من خلال توظيف المفردات السمعية (أبلغ، المستسمعين، يعلم) للدلالة على القوة والشجاعة، حيث يريد الشاعر أن يبلغ المستمعين بتلك الحرب الضروس التي خاضها، والتي جعلت الجميع يعلم أنه المقاتل الحامي المدافع عن أهله وعشيرته غير جبان ولا يهاب الموت، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على القوة والشجاعة.

كما يفتخر حسان بن ثابت بقوة وفروسية قومه فيقول:

أتيـــا فـــارسَ فـــي دارهـــمِ، فتنـــاهوا بعـــدَ إعـــصامٍ بقـــر
ثـــمّ صَـــاحَا: يـــالَ غَـــسّانَ اصْـــبِرُوا، إنَّـــهُ يـــومُ مـــصاليتَ صُـــبُرْ
اجْعَلُـــوا مَعْقِلَهَـــا أيْمَـــانَكُمْ، بالـــصّفِيحِ المُـــصْطَفَى، غيـــرِ الفُطُـــر
بـــضرابٍ تـــأذنُ الجـــنُّ لـــهُ، وطعـــانٍ مثـــلِ أفـــواهِ الفقـــرْ
ولَقَـــدْ يَعْلَـــمْ مَـــنْ حَارَبَنَـــا أننـــا ننفـــعُ قـــدمًا ونـــضرّ
صُـــبُرٌ لِلْمَـــوْتِ، إنْ حَـــلّ بِنـــا، صَـــادِقُو البـــأسِ، غَطـــارِيفُ فُخُـــرْ
وَأَقَـــامَ العِـــزُّ فِينَـــا والغِنـــى، فلنـــا منـــهُ علـــى النـــاسِ الكبـــرْ
مـــنهمُ أصـــلي، فمـــنْ يفخـــرْ بـــهِ يَعْـــرِفِ النّـــاسُ بِفَخْـــرِ المُفْتَخِـــرْ
نحـــنُ أهـــلُ العـــزّ والمجـــدِ معًـــا، غيـــرُ أنكـــاسٍ، ولا ميـــلٍ عـــسرْ

(1) نفسه، ص ٧٥. المستسمعين: يريد المستمعين، شمط: خالط بياض رأسه سواد فهو أشمط وهي شمطاء والجمع شُمُط، القاعد: المرأة التي انقطعت عن الولد وعن الزوج، الأوصال: الأعضاء، الرواعد: المطر، الأكفاء: جمع كفيء وهو النظير، الذمار: الشرف، المناجد: المقاتل، الغميزة: الجبن، الكاشح: العدو الذي يضمر العداوة.

فَسَلُوا عَنّا، وَعَنْ أفْعَالِنَا، كلُّ قومٍ عندهمْ علمُ الخبر[1]

وفق الشاعر في تشكيل هذه الصورة في اختيار الألفاظ (صاحا، تأذن الجن، يعلم، فسلوا عنا) التي ينبثق منها الصوت والإيقاع الذي يوحي بالفكرة والصورة إيحاءًا قويًا؛ حيث يذكر الشاعر أن عمرو وحجر – هما من ملوك غسان – صاحا ينادون آل غسان (رهط الشاعر) بأن يصبروا في ذلك اليوم الشديد الوقع وأن يشهروا سيوفهم العريضة المشققة حتى يسمع الجن ضربات تلك السيوف، ومما هو جدير بالذكر أن " قضية الإبداع الشعري ارتبطت بعالم الجن عند حسان كغيره من الشعراء وكأن العربي لا يكون شاعرًا، إلا باتصاله بعالم الجن وأن الجني هو من يملي على الشاعر شعره"[2]، ثم يقول الشاعر مستدركًا: وهل هناك أحد لا يعلم آل غسان وقوتهم وفروسيتهم فالجميع يعرفونهم حق المعرفة، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على قوة وفروسية قومه.

ويرسم ابن مقبل صورة سمعية للدلالة على القوة والشجاعة فنراه يقول:

دعاني كُليبٌ بالمدينةِ دعوةً وأفناء قيسٍ شاهدونَ وخندِفُ

فكان جوابي أن حززتُ أخاهمُ جهارًا، وأنيابي منَ الحربِ تصرفُ

وقالَ كُليبٌ اخضِبوا لي لحيتي لو أنِّي غُدُوًّا عند مروان أعرفُ

فلما دنا للباب أشبه أُمَّهُ وقالت لهم نفسُ المذلَّةِ أزحِفُوا[3]

رسم الشاعر صورة سمعية من خلال توظيفه للألفاظ (دعاني، أنيابي تصرف، قال كليب، قالت لهم) للدلالة على القوة والشجاعة؛ حيث إن كليب دعاه إلى القتال فكان

([1]) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ١٢٤. المصاليت الصبر: الأقوياء الصابرون، الصفيح: صفة للسيف العريض، سيف فطر: فيه شقوق، تأذن الجن له: تضغى وتستمع إليه، الفُقُر: جمع الفقير وهو: مخرج الماء من فم القناة، الغطاريف: جمع غطريف: وهو السيد الكريم، الكبر: الشرف، الرجل النكس: المقصر عن غاية النجدة والكرم أو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.

([2]) د/ أحمد عبد الرحمن الذنيبات، د / خالد فرحان البدانية: التحولات الفكرية في شعر حسان بن ثابت، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد ١، ٢، ٢٠١٣ م، ص ٢٩٤.

([3]) ابن مقبل: ديوانه، ص ١٥١. أفناء قيس: أحياء قيس، خندف: أي قبائل خندف، حززت أخاهم: أي قتلت أخاهم، الأنياب تصرف: أي يُسمع لها صوت إذا حركها الإنسان بعضها ببعض، أزحفوا: أسرعوا.

جوابه أن قتل أخيه وهو يحرِّك أنيابه حدةً وغيظًا، وحينما اقترب منه للقتال لم يستطع المواجهة وفرَّ هاربًا، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على قوة وشجاعة قومه وضعف وهوان قوم كُليب.

كما يفتخر العباس بن مرداس بقوته وشجاعته وقوة وشجاعة قومه فهي صفات توارثها خلف عن سلف حيث يقول:

لنـــا شـــيمٌ غيـــرُ مجهولـــةٍ توارثَهَـــا الأكبـــرُ الأكبـــرُ

وخيـــلٌ تكـــدَّسُ بالدارِعِيـــ ـــنَ تنحـــرُ فـــي الـــروعِ أو تُعقَـــرُ

عليهـــا فـــوراسُ مخبـــورةٌ كجـــنٌ مـــساكِنُها عبقـــرُ

ورجراجـــةٌ مثـــلُ لـــونِ النجـــو مِ لا العـــزلُ فيهـــا ولا الحـــسَّرُ

وبـــيضٌ ســـوابغُ مـــسرودةٌ مواريـــثُ مـــا أورثـــت حميـــرُ

فقـــد يعلـــمُ الحـــيُّ عنـــد الـــصياحِ بـــأنَّ العقيلـــةَ بـــي تُـــستَرُ

وقـــد يعلـــمُ الحـــيُّ عنـــدَ الرهـــا ن أنـــي أنـــا الـــشامخُ المُخطِـــرُ

وقـــد يعلـــم الحـــيُّ عنـــد الـــسؤا لِ أنـــي أجـــودُ وأســـتمطِرُ[1]

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي (يعلم الحي عند الصياح، يعلم الحي عن الرهان، يعلم الحي عند السؤال) للدلالة على القوة والشجاعة؛ فكتيبته كثيرة العدد لونها مثل لون النجوم لما فيها من دروع واسعة وسيوف لامعة، كما يذكر الشاعر أن جميع الحي يعلم جيدًا أن كريمة الحي تستتر وتختبئ عنده وقت الصياح واشتداد المعركة، فهو يخوض غمار

([1]) العباس بن مرداس: ديوانه، ص ٧٥. الشيم: جمع شيمة وهي الخلق، الدارعون: لابسو الدروع ورجل دارع أي عليه درع، الروع: الفزع وأراد الحرب هنا، مخبورة: مجربة، عبقر: موضع تزعم العرب أنه أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته فقالوا عبقري، رجراجة: أي كتيبة رجراجة كأنها تتمخض ولا تسير لكثرتها، العزّل: الذين لا سلاح معهم، الحسَّر: الذين لا مغفر لهم ولا دروع، السوابغ: الدروع الواسعة، مسرودة: منسوجة، العقيلة: كريمة الحي، المخطر: الذي يجعل نفسه خطرًا لقرنه فيبارزه ويقاتله، الاستمطار: الاستسقاء.

الحرب دون خوف أو قلق فهو لا يهاب الموت، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على قوة وشجاعة قومه.

وقال العباس رادًا على خفاف بن ندبة[1] حينما هجاه:

ألا مـــن مُبَلِّـــغٌ عنـــي خُفافًـــا فـــإني لا أحاشـــي مـــن خُفـــافِ

أتهـــدي لـــي الوعيـــدَ علـــى التنـــائي ومـــا مثلـــي يُخَـــوَّفُ بـــالقوافي

نكحـــتَ وليـــدةَ ورضـــعتَ أخـــرى وكـــان أبـــوكَ تحملـــهُ قطـــافِ

فلـــستُ لحاصـــنٍ إن لـــم تَرَوهـــا تثيـــرُ النقـــعَ مـــن ظهـــرِ النعـــافِ

ســـواهِمَ كالقـــداحِ مـــسوماتٍ وكُمتًـــا لونُهـــا كـــالورسِ صـــافِ

فـــسائل فـــي قبائـــلِ جـــذمِ قـــيسٍ بنـــا عنـــدَ العظـــائمِ والجُحـــافِ

تخبَّـــرُ أننـــا أولـــى بمجـــدٍ توارثـــهُ طـــرافٌ عـــن طـــرافِ[2]

شَكَّلَ الشاعر صورته الشعرية من خلال توظيف المفردات السمعية { مبلغ، فسائل، تخبر) للدلالة على القوة والشجاعة والفروسية، يريد الشاعر أن يوصل إلى آذان خفاف بن ندبة أنه لا يخافه ولا يخشاه، وأنهم قوم لا يخافون الموت بل يقدمون عليه بكل جرأة وشجاعة، كما أنهم قوم توارثوا المجد والعلا عن آبائهم، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على القوة والشجاعة.

كما يصف ابن مقبل فرسه بالقوة والصلابة عبر صورة سمعية فيقول:

تـــرى النُّعَـــراتِ الخُـــضرَ تحـــتَ لبانِـــهِ فُـــرادى ومثنـــى أصـــعَقَتها صـــواهلُه

فريـــسًا، ومغـــشيًا عليـــهِ كأنَّـــهُ خُيُوطَـــةُ مـــاريٍّ لـــواهنَّ قاتِلـــه

---

(1) ابن عم العباس بن مرداس الشاعر.

(2) العباس بن مرداس: ديوانه، ص ١١٧. لا أحاشي: لا أهابه، الوعيد: التهديد، التنائي: البعد، الوليد: الصبية والأمة، قطاف: علم لامرأة مبني على الكسر، النقع: الغبار، النعاف: جمع نعف وهو ما انحدر من السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط، سواهم: خيل غيرها السفر، مسومات: معلمات ومرعيات أيضًا، الورس: نبت أصفر، الجحاف: الموت.

وكـــم مـــن إرانٍ قـــد ســـلبتُ مقيلـــهُ إذا ضـــنَّ بـــالوحش العتـــاقِ معاقِلُـــه[1]

رسم الشاعر صورة سمعية من خلال توظيفه للفظ (صواهله) للدلالة على قوة الفرس؛ فقد يصفه الشاعر بأن صهيله يقتل الذباب الذي تحت صدره ويقع كأنه الخيوط التي تكون في شبكته، كما أن صهيله يجعل الثور الوحشي لا يستطيع الاستراحة وقت اشتداد الحر، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة عل قوة الفرس.

كما يصف الشاعر حرب ضروس بوادي حنين شارك فيها قومه وتغلب على الأعداء حيث يقول:

ألا هـــل أتـــي عِرســـي مكـــرِّي ومـــوقفي بـــــوادي حنـــــينٍ والأســـــنةُ تُـــــشرَعُ

وقـــولي إذا مـــا الـــنفسُ جاشـــت لهـــا قِـــدِّي وهـــــامٌ تدهـــــدي والـــــسواعدُ تُقطَـــــعُ

كـــــأنَّ الـــــسهامَ المرســـــلاتِ كواكـــــبٌ إذا أدبـــرت عـــن عَجِّهـــا وهـــي تلمـــعُ

وكيـــف رددتُ الخيـــلَ وهـــي مغيـــرةٌ بـــــزوراءَ تعطـــــي باليـــــدينِ وتمنـــــعُ

نـــصرنا رســـولَ اللهِ فـــي الحـــربِ ســـبعةً وقـــد فـــرَّ مـــن قـــد فـــرَّ عنـــه فأقـــشعُ[2]

وفي هذه الأبيات يستحضر الشاعر صورته السمعية من خلال توظيف الألفاظ ذات المفردات السمعية (قولي إذا ما النفس جاشت، أن السهام المرسلات كواكب، عجها) للدلالة على قوة الحرب وضَرَاسَتَها، حيث يصف حرب ضروس دارت بوادي حُنين كانت تقطع فيها السواعد، كما يصف الشاعر السهام المرسلة في تلك الحرب بالكواكب وذلك لسرعتها ولمعانها وصوتها العالي الذي يرهب أعدائه، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على قوة وشدة الحرب وضَرَاسَتَها.

ومما سبق يتبين لنا أن الشاعر المخضرم قد رسم صورًا سمعية في كثير من الأحيان للدلالة على القوة والشجاعة وكانت تتمثل في الدفاع عن القبيلة، أو الزود عن

([1]) ابن مقبل: ديوانه، ص ١٨٦. النعرات: جمع النُعَرة وهي ذبابة ضخمة زرقاء العين خضراء، صواهله: أي صهيل الفرس، فريس: أي مقتول، الإران: الثور الوحشي، المقيل: القيلولة، المعاقل: جمع معقل، ومعقل الوحش: ملجؤه.

([2]) العباس بن مرداس: ديوانه، ص ١٠٢، عجها: صوتها، أي صوت السهم.

النساء والصبيان الصغار أو غير ذلك، كما رسم صورة سمعية للدلالة على قوة الحرب وضَرَاسَتَها.

ثانيًا:صور سمعية متفرقة:

وَظَّفَ الشاعر المخضرم ألفاظ الأصوات في شعره للدلالة على معانٍ كثيرة منها السرعة، والخوف، واللوم والعتاب، والفرح والسعادة؛ فها هو عمرو بن معد يكرب يصف فرسه بالسرعة والصلابة فيقول:

وعجلـــــزةٌ يـــــزلُّ اللِّبـــــدُ عنهـــــا أَمـــــرَّ سَـــــرَاتَها حلـــــقُ الجيـــــادِ

إذا ضُـــــرِبَتْ ســـــمعتَ لهـــــا أزيـــــزًا كوقـــــع القَطْـــــرِ فـــــي الأُدُمِ الجِـــــلادِ[1]

وفق الشاعر في تشكيل هذه الصورة في اختيار الألفاظ (سمعت، أزيزًا) التي ينبثق منها الصوت والإيقاع الذي يوحي بالفكرة والصورة إيحاءً قويًا؛ حيث شبه الشاعر صوت جري فرسه الشديد الخلق بصوت وقع قطرات الماء على قطعة الجلد اليابسة، مما يدل على سرعتها وصلابتها، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على سرعة وصلابة فرسه.

كما يصف كعب بن زهير طريقًا خاليًا لم تسمع به إلا أصوات البوم والذئاب، يحثُ فيه ناقته على السير بسرعة فيقول:

وذئابًـــــا تعـــــوي وأصـــــوات هـــــامٍ موفيـــــاتٍ مـــــع الظَّـــــلامِ قبـــــورًا

غيـــــر ذي صـــــاحبٍ زجـــــرتُ عليـــــهِ حُـــــرَّةً رَسْـــــلَةَ اليـــــدينِ سَـــــعورا

أخـــــرج الـــــسَّيرُ والهـــــواجرُ منهـــــا قَطِرانًـــــا ولـــــونَ رُبٍّ عَـــــصيرا

يـــــومَ صـــــومٍ مـــــن الظَّهيـــــرةِ أو يـــــو مَ حـــــرورٍ يُلَـــــوِّحُ اليعفُـــــورا

وإذا مـــــا أشـــــاءُ أبعـــــثُ منهـــــا مطلِـــــعَ الـــــشمسِ ناشـــــطًا مَـــــذعورا

ذا وشـــــومٍ كـــــأن جلـــــدَ شـــــواهُ فـــــي ديـــــابيجَ أو كُـــــسين نُمـــــورَا[1]

([1]) عمرو بن معد يكرب: ديوانه، ص ١٠٨. العجلزة: الفرس الشديدة الخلق، أمرَّ: من إمرار الحبل وهو إحكام فتله، سراتها، ظهرها، الأزيز: صوت غليان القدر، الأدم: جمع أديم وهو الجلد، الجلاد: اليابسة الصلبة.

تحظى هذه الصورة بعدة دلالات صوتية تظهر في الألفاظ { ذئابًا تعوي، أصوات هام، زجرت عليه } للدلالة على سرعة الناقة؛ فقد يحثها الشاعر على السير بسرعة – يتبين ذلك في قوله (زجرت عليه) – فتعدو مسرعة في طريق خال لم تجد به إلا أصوات الذئاب والبوم مما يساعدها على السير بسرعة، وبذلك يكون الشاعر قد وَظَّفَ ألفاظ السمع للدلالة على السرعة.

ويصف النابغة الجعدى فرسه بالسرعة فيقول:

وأخرج من تحت العجاجة صدرهُ وهزَّ اللِّجَامَ رأسُهُ فتصلصلا

أمام هوىٍّ لا يُنَادَى وليدُهُ وشدٍّ وأمرٍ بالعنان لِيرسَلا

ولا مَلِقٌ ينزو وينْدرُ روثَهُ أُحادَ إذا فأسُ اللِّجَامِ تصلْصَلا

تنَّحي عليه كلُّ أسقَفَ جانيء بجبهتِهِ حَتّى يَكِلَّ ويَعْمَلا[٢]

شَكَّلَ الشاعر صورته الشعرية من خلال توظيف المفردات السمعية (فتصلصلا، ينادي وليده، تصلصلا) للدلالة على سرعة فرسه؛ حيث إن رأس الفرس هزَّ اللجام فأحدث صوتًا يشبه صوت الحديد، والفرس يعدو مسرعًا طلْقُ العنان لا يتعب ولا يمل، كما أن صوت اللجام يزيد من سرعته وقوته، وبذلك يكون الشاعر قد رسم سمعية للدلالة على سرعة وقوة الفرس.

ويصف الحطيئة ناقته عبر صورة سمعية فيقول:

وأدماء حُرجوج تعاكلْت موهنًا بسوطيَ فارمدَّتْ نجاءَ الخفيدد

---

(١) كعب بن زهير: ديوانه، ص ٤٦. الهام: جمع هامة وهو ذكر البوم، موفيات: مشرفات على هذا الطريق، الزجر: الصوت الشديد، زجر البعير: حثه وحمله على السير بلفظ يكون زجرًا له، الحرة: الكريمة، ويعني ناقته، رسلة اليدين: سريعة، السعور: السريعة أيضًا، الهواجر: جمع هاجرة وهي قيظ منتصف النهار، يلوح: يغير، اليعفور: من الظباء الذي ليس بالخالص البياض.

(٢) النابغة الجعدي: ديوانه، ص ١٣٥. العجاجة: الغبار الذي تثيره الرياح، تصلصل: أحدث صوتًا كصوت الحديد، الهوى: شدة السرعة، الشد: العدو السريع، العنان: مقود الدابة المربوط باللجام، الملق: الحصان الذي لا يوثق بجريه، ينزو: من نزا بمعنى وثب، يندر: يسقط، فأس اللجام: الحديدة القائمة في حنك الدابة، تنحى: اعتمد، الأسقف: الصيقل وسمى صيقلا؛ لانحنائه، الجانيء: المنكب، يعمل: يدأب ويثابر على العمل.

إذا بركـــت أوفـــت علـــى ثفناتِهـــا علـــى قـــصبٍ مثـــلَ اليَـــراع المقـــصَّد

وإن ضُـــربت بالـــسَّوط صـــرَّت بنابهـــا صـــرير الـــصياصي فـــي النـــسيج الممـــدَّدِ

كـــأن هُـــويَّ الـــريح بـــين فروجهـــا تجـــاوب أظـــآر علـــى ربـــعٍ ردي

وإن حُـــط عنهـــا الرَّحـــل قـــارب خطوهـــا أمـــين القُـــوى كالـــدُّمُلُج المتعـــضِّد[1]

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي(صرَّت، صرير، هُويَّ الريح) في وصف الناقة، فقد يصفها الشاعر بأنها إذا ضُربت بالسوط صاحت وأحدثت صوتاً مثل صوت شوكة الحائل الذي يسوى بها السداة واللحمة، كما يشبه الشاعر صوت الريح بين قوائمها بصوت أظأر عطفن على حوار أصابه ردى، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية في وصف الناقة.

ويصف حميد بن ثور مركب من مراكب النساء وما تحدثه من أصوات فيقول:

وقالـــت لأختَيهـــا الـــرواحَ وقَـــدمَتْ غَبيطًـــا خُثيميًـــا تـــراهُ وأســـحما

فجـــاءت بـــه لا جاســـئًا ظلفـــاؤُه ولا سلـــسًا فيـــه المـــساميرُ أكزَمـــا

فزيَّنَـــه بـــالعِهن حتَّـــى لـــو أنَّـــه يقـــال لـــه هـــابٍ هلُـــمَّ لأقـــدَما

فلمـــا كـــشفن اللِّـــبس عنـــه مـــسحنَه بـــأطراف طَفـــلٍ زانَ غيلًـــا مُوَشَّـــما

لـــه ذئـــبٌ للـــريح بـــين فُرُوجِـــه مزاميـــرُ يـــنفخنَ الكـــسيرَ المهَزَّمـــا

مُـــدَمَّى يلـــوح الـــودعُ فـــوق ســـراتهِ إذا أرزمـــت فـــي جوفـــهِ الـــريحُ أرزمـــا

كـــأن هزيـــز الـــرِّيح بـــين فُرُوجِـــهِ عـــوازف جـــنٍّ زُرنَ حيًّـــا بعيهَمـــا[1]

([1]) الحطيئة: ديوانه، ص ٦٧. أدماء: بيضاء صادقة البياض، الحرجوج: الطويلة على وجه الأرض، العلالة: الشئ يجئ بعد الشئ، أوفت: أشرفت، الثفنات: أصول الفخذين والركبتين، اليراع: القصب، مقصد: مكسر، الصرَّة: الصياح والجلبة، الصيَّصية: شوكة الحائك الذي يُسوِّي بها السداة واللحمة، الفروج: يعني القوائم، الأظآر: جمع ظئر وهي التي تعطف على غير ولدها الرُّبع: ما وُلد في الربيع، أمين القوى: يريد العُقال والقيد، الدملج المتعضد: الذي فيه طرائق بمنزلة الثوب المضلع.

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف الألفاظ ذات الدلالات السمعية (قالت، هاب، مزامير، أرزمت، أرزما، هزيز الريح، عوازف جن) في وصف الغبيط؛ فيصف الشاعر فتاة من العذارى بأنها قدمت غبيطًا تراه أسودًا مزين بالصوف لو نودي لأجاب، كما يصفه الشاعر بأن له فرجة ما بين دفتي الرحل والسرح والغبيط يحدث أصواتًا تُطيِّر النبات المتكسر، ويشبه الشاعر أصوات الريح بين قوائم الدابة بأصوات الجن وهي تعزف، وبذلك يكون الشاعر قد شكل صورة سمعية في وصف الغبيط.

كما يصف حُميد بن ثور حمامة تفاخر ساق(ذكر الحمام) في النوح ويفاخرها فيقول:

وكـــائِنْ لَهونـــا مـــن ربيـــعٍ مَـــسَرَّةٍ وصـــيفٍ لهونـــاه قـــصيرٍ ظهـــائرُهْ

بجِـــزْعٍ تُغَنِّينـــا بـــه مـــستظِلةٌ يمائرُهـــا نوحًـــا بـــه وتُمـــائرُهْ

دعت ســاقَ حُــرٍّ وانتحــى مثــلَ صــوتها بـــساقٍ تغَنِّيـــه وســـاقٌ يُحـــاوِرُهْ

أظـــلَّ بـــأطلالِ المليحـــةِ بعْـــدَنا دَرُوجُ الـــسَّفا تأتابـــهُ وتُبـــاكرُهْ[٢]

وفق الشاعر في اختيار الألفاظ (تغنينا، يمائرها نوحًا وتمائره، دعت، انتحى مثل صوتها، ساق تغنِّيه، ساق يحاوره) التي ينبثق منها الصوت والإيقاع الذي يوحي بالفكرة والصورة إيحاءا قويًا، حيث يذكر الشاعر أنه قضى الصيف في مرح ولهو في

---

(١) حميد بن ثور: ديوانه، ص ١٤. قالت: يقصد فتاة من العذارى، خثيمي: منسوب إلى خثيم، الغبيط: مركب من مراكب النساء، الأسحم: الأسود، لا جاسئًا: لا خشنًا، الكزم: القصر والتقلص والتجمع، العهن: الصوف عامة، هاب: اسم صوت تدعى به الإبل، اللبس: أراد ما عليه من الثياب الموشاة، موشم: به وشم يعني الخيل، الذئب: جمع ذئبة وهي مقدم ملتقى الحنوين، أو هي فرجة ما بين دفتي الرحل والسرج والغبيط، مزامير: أصوات، ينفخن: يطرن، الكسير: ما انكسر من النبات، مدمَّى: من حمرته، الودع: خرز أبيض تزين به الهوادج، سراته: أعلاه، أرزمت: صوتت، عيهم: موضع بالغور كثير الجن، هزيز الريح: صوتها.

(٢) حميد بن ثور: ديوانه، ص ٩٠. كائن: اسم استفهام بمعنى كم يفيد التكثير أي كثيرًا ما لهونا، الظهائر: جمع ظهيرة وهي انتصاف النهار، الجزع: منعطف الوادي، مستظلة: يعني في حمايته، المحاورة: المراجعة والمجاوبة، يمائرها وتمائره: يفعل مثل فعلها وتفعل مثل فعلته، الدروج: الريح السريعة تثير التراب، تأتابه: ترجع إليه مرة بعد مرة، تباكره: تأتيه من البكرة.

منعطف الوادي، حيث كانت حمامة تحتمي بساق(ذكر الحمام) تغنِّي وتنوح، أراد الساق أن يقلد صوتها فظل يفعل مثل فعلتها وتفعل مثل فعلته وظلَّت تفاخره في النوح ويفاخرها، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية في وصف الحمامة بالنوح والتفاخر.

وكما وَظَّفَ الشاعر المخضرم ألفاظ السمع للدلالة على السرعة والقوة وظفهما للدلالة على الوحدة والهدوء أيضًا وفي ذلك يقول النابغة الجعدي:

تأبَّـــد مـــن ليلـــى رمـــاحٌ فعـــاذبُ وأقفـــر ممـــن حلَّهُـــنَّ التناضـــبُ

فأصـــبَحَ قَـــارَاتُ الـــشُغُورِ بَسَابـــسًا تجـــاوبُ فـــي آرامهـــنَّ الثعالـــبُ

ولـــم يُمـــسِ بالـــسيدانِ نـــبحٌ لـــسامعٍ ولا ضـــوءُ نـــارٍ إن تنَّـــورَ راكـــبُ[1]

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف جملة (لم يمس بالسيدان نبح السامع) للدلالة على الوحدة وعدم وجود الأنيس؛ فقد يصف الشاعر صحراء مقفرة لم تجد بها إلا الثعالب، كما يصف السيدان (موضع) بأنه لم تسمع به نبح للكلاب ولا ضوء نار مما يدل على الوحدة والهدوء، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الوحدة والهدوء وعدم وجود الأنيس.

كما يصف الحطيئة حاله بعد أن تركه القوم وظل وحيدًا يعاني من الوحدة وسوء الحال عبر صورة سمعية فيقول:

ألا أبلـــغ بنـــي عـــوف بـــن كعـــبٍ فهـــل قـــومٌ علـــى خُلُـــقٍ ســـواءُ

عطاردَهـــا وبهدَلَـــة بـــن عـــوفٍ فهـــل يـــشفي صـــدوركُمُ الـــشفاءُ

ألـــم أك نائيًـــا فـــدعوتُموني فجـــاء بـــي المواعـــدُ والـــدعاءُ

([1]) النابغة الجعدي: ديوانه، ص ٢٠. رماح: ديار لربيعة بن مالك، عاذب: أرض في ديار بني يشكر، التناضب: أرض ينبت فيها التنضب وهو شجر ضخم كالسرح عيدانه بيضاء ناعمة وله جني يؤكل ويشبه العنـب، الآرام: الأعلام، وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها، القارات: جمع قار، وهو الجبل الصغير المنقطع عن الجبال، البسابس: الصحارى المقفرة، السيدان: موضع من أرض بني سعد، النبح: صوت الكلاب، تنور: أشـعل النار ليهتدي.

ألـــــم أك جـــــاركُم فتركتمـــــوني لكلبـــــي فـــــي ديـــــاركُمُ عُـــــواءُ[1]

يستحضر الشاعر صورته السمعية في هذه الأبيات من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي (أبلغ، دعوتموني، الدعاء، عواء) للدلالة على الوحدة؛ حيث يبدأ الشاعر قصيدته بمخاطبة صاحبه أن يبلغ بني عوف أنه ليس كل القوم سواء فيقول هل تستوي أخلاق قوم حتى يكونوا كلهم سواء حينما كان يمدح بني عوف بني كعب، ويهجوا الزبرقان بن بدر ما فعله قومه مع الحطيئة، حيث كان بعيدًا فدعوه فلبى الدعاء وحينما جاء في ديارهم تركوه وحيدًا لم يسمع إلا عواء كلبه وظل يعاني من الوحدة وسوء الحال، وبذلك يكون الشاعر قد وَظَّفَ السمع للدلالة على الوحدة وسوء الحال.

كما يصف نياقًا بالهدوء والوحدة عبر صورة سمعية فيقول:

ســـــتكفيك أمثـــــال المجـــــادل جلَّـــــةُ مهـــــاريسُ يغنـــــي المُعتفـــــين شـــــكيرها

عظـــــامُ الجُثـــــى غُلـــــبُ الرقـــــاب كأنهـــــا أكـــــاريعُ ظبـــــيٍ مـــــدفآت ظهورهـــــا

عطـــــاءُ مليـــــكٍ مـــــا يكـــــدِّرُ سَـــــيبُهُ إذا بخلـــــت ســـــهمٌ وخـــــاب عـــــشيرُها

إذا نـــــام طلـــــحٌ أشـــــعث الـــــرأس وســـــطها هـــــداهُ لهـــــا أنفاسُـــــها وزفيرُهـــــا

عـــــوازبُ لـــــم تـــــسمع نُبُـــــوح مُقامـــــةٍ ولـــــم يُحتَلَـــــبْ إلا نهـــــارًا ضـــــجورُها

إذا بركـــــت لـــــم يؤذهـــــا صـــــوتُ ســـــامرٍ ولم تُقصَ عـــــن أدنـــــى المخـــــاض قـــــذورُها[2]

شَكَّلَ الشاعر صورته السمعية من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي(أنفاسها، زفيرها، لم تسمع نبوح، صوت سامر) للدلالة على الهدوء والوحدة، فقد يذكر الشاعر أن راعي تلك النياق حينما ينام ثم يستيقظ يعرف مواضعها من أنفاسها وزفيرها، كما أنها عازبة لا تسمع أصوات الناس لبعدها عنهم، وإن سمعت صوت أحد

([1]) الحطيئة: ديوانه، ص ٣١. عطارد وبهدلة: قبيلتين.

([2]) الحطيئة: ديوانه، ص ١٠٣. المجادل: القصور، المهاريس: الشداد الأكل، المعتفين: أصحاب الحاجة، شكيرها: لبنها، الكراع: الغليظ من الأرض الممتد، الجثى: الجسد، سيبه: عطاؤه، خاب عشيرها: خاب قومها وقبيلها، الطلح: الراعي المعيي قد أعيى من رعيته إياها، النبوح: ضجة الناس وجلبتهم، عوازب: أي لم تشاهد الحي، السامر: القوم الذين يسمرون، لم تقص: لم تباعد.

فلا يؤذها ذلك الصوت، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الهدوء.

ويصف الحطيئة رجلًا بالكرم والعطاء عبر صورة سمعية فيقول:

نــزور امــرأ يــوتي علــى الحمــد مآلــهُ ومــن يُعْــطِ أثمــان المحامــد يحمــد

يــرى البخــل لا يُبقــي علــى المــرءِ مالــه ويعلــم أن الــشُّحَّ غيــرُ مُخلــدِ

كــسوب ومــتلافُ إذا مــا ســألتَهُ تهلَّــل واهتــزَّ اهتــزاز المهنَّــدِ[1]

رسم الشاعر صورة سمعية من خلال توظيف الألفاظ(يعلم، سألته) للدلالة على الكرم والعطاء، حيث يصف الشاعر ذلك الرجل بأنه يعلم أن البخل لا يديم عليه حاله، وأنَّه إذا سأله أحد وطلب منه العطاء تهلَّل وجهه وأشرق وفرح بالعطاء واهتزَّ كما يهتز السيف، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الكرم والعطاء.

ولقد وَظَّفَ حسان بن ثابت ألفاظ السمع في صورة سمعية للدلالة على الخسة والاحتقار حينما مرَّ بمجلس مزينة بعدما كُفَّ بصره فضحك به أحدهما فقال يهجيه:

أبــوكَ أبــوكَ، وأنــتَ ابنــهُ فبــئسَ البنــيُّ وبــئسَ الأبُ

وأُمُّــكَ سَــوْدَاءُ مَوْدُونَــة كَــأنّ أنَاملَهَــا الحُنْظُــبُ

يبيــتُ أبــوكَ بهــا معرسًــا، كَمــا سَــاوَرَ الهُــوّةَ الثّعْلَــبُ

فمَــا منِــكَ أعجَــبُ يــا ابــنَ اسْــتِها، ولكننــي مــنْ أولــى أعجــبُ

إذا ســمعوا الغــيَّ آدوا لــهُ، تُيُــوسٌ تَنِــبُّ إذا تَــضْرِبُ

تَــرَى التّــيْس عنْــدهُمُ كــالجَوَادِ، بــلِ التــيسَ وســطهمُ أنجــبُ

فــلا تــدعهمْ لقــراعِ الكمــاة، وَنَــادِ إلــى سَــوْءَةٍ يَرْكَبُــوا[1]

(1) الحطيئة: ديوانه، ص ٦٩. الشح: البخل، متلاف: يُتلف ما عنده أي ينفقه ولا يدخره، تهلَّل: أشرق وجهه للسرور بالعطية، اهتزّ: ارتاح.

وفق الشاعر في تشكيل هذه الصورة في اختيار الألفاظ التي ينبثق منها الصوت والإيقاع الذي يوحي بالفكرة والصورة إيحاءًا قويًا، فهو يهجو رجلًا من قبيلة مزينة فيعيِّره بأمه السوداء التي تشبه أناملها ذكر الخنافس، وأنهم قوم إذا سمعوا عن الظلم والضلال يميلوا إليه ويسرعوا فيكونوا كالتيوس التي تصيح حينما تُضرب، ثم يبين الشاعر عبر صورة سمعية أنهم قوم لا يستطيعون قتال الشجعان ومحاربتهم حينما خاطب المهجو قائلًا له: (لا تدعهم لقراع الكماة) ولكن حين تدعهم إلى الأفعال الشنيعة يستجيبوا إليك، وبذلك يكون الشاعر قد وَظَّفَ ألفاظ السمع للدلالة على الخسة والدناءة والإحتقار.

كما قال يهجو بني سليم بن منصور:

لقَـــد غـــضِبَتْ جَهْلًـــا سُـــلَيْمٌ سَـــفاهَةً، وطاشـــتْ بـــأحلامٍ كثيـــرٍ عثورهـــا

لِئـــامٌ مـــساعيها، كَـــذوبٌ حَـــديثُها، قَليـــلٌ غَناهـــا حـــينَ يُنعَـــى صُـــقُورُها

لهـــا عقـــلُ نـــسوانٍ، وشَـــرُّ شَـــرِيعَةٍ، نـــزورٌ نـــداها حـــينَ تبغـــى بحورهـــا

إذا ضِـــفتَهمُ ألفَيْـــتَ حَـــولَ بيـــوتِهمْ كلابًـــا لهـــا فـــي الـــدارِ، عـــالٍ هريرهـــا[٢]

وفي هذه الأبيات يستحضر الشاعر صورته السمعية من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي (كذوب حديثها، عالٍ هريرها) للدلالة على الخسة والاحتقار؛ فقد يصف الشاعر قوم بني سليم بأن حديثهم كذب، وحينما يأتي إليهم ضيفًا في ديارهم يسمع نباح الكلاب خارج الديار مما يدل على قلة من يأتي إليهم؛ فهي تنبح؛ لأنها لم تعتاد على رؤية من يدخلون إلى الديار، وبذلك يكون الشاعر قد وَظَّفَ ألفاظ السمع للدلالة على الخسة والدناءة.

---

(١) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ٤٢. النوب: جيل من السودان الواحد نوبي والأنثى نوبية، الحنظب: الذكر من الخنافس، أعرس بها: إذا غشيها وألمَّ بها، ساورها: وثب عليها،الهوة: الحفرة أو البئر، يا ابن استها: ضرب من السب يقال في معرض الذم، آدوا إليه: مالوا إليه، نب التيس: صاح، تضرب: أي تنزو، الكماة: جمع الكمي وهو الشجاع.

(٢) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ١٣٩. السفاهة: الجهل بخلاف العلم، عثر: كبا، الصقور: كناية عن الأشراف، ضافه: نزل عليه ضيفًا، هرير الكلاب: نباحها.

وقال حميد بن ثور يهجو رجلًا ويصفه بالعَي والضلال:

أتانا ولم يعدِله سحبانُ وائلٍ بيانًا وعلمًا بالذي هو قائلُ

فما زال عنه اللقمُ حتى كأنَّه من العي لمَّا أن تكلَّم باقلُ[1]

وفي هذه الأبيات وَظَّفَ الشاعر ألفاظ السمع (قائل، تكلم) للدلالة على الذم والهجاء، فقد يهجو الشاعر رجلًا ويصفه بأنه تراه مثل سحبان وائل في البيان والعلم بما يقول، وحينما انقطع عنه الأكل تراه يتكلم عيًا وضلالًا، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الإستحقار والذم.

كما يهجو الشاعر قوم فيصفهم بالجبن والضعف عبر صورة سمعية، وفي ذلك نراه يقول:

قومٌ إذا سَمِعُوا الصريخَ رأيتَهم من بينِ مُلجِم مُهرِهِ أو سَافِعِ[2]

يستحضر الشاعر صورته السمعية من خلال توظيف الألفاظ ذات الإيقاع الصوتي(سمعوا، الصريخ) في وصف هؤلاء القوم بالجبن، حيث إنهم حينما يسمعوا مستغيث تراهم ما بين آخذ بناصية مهره ليلجمه وما بين ملجم فرسه، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الجبن والضعف.

كما رسم كعب بن زهير صورة سمعية للتعبير عن الحسب والنسب الطيب حينما قال مفتخرًا بنفسه واردًا على مزرد بن ضرار[3]:

ألا أبلِغا هذا المُعَرِّضَ أنَّه أيقظانَ قالَ القولَ إذ قالَ أم حَلَمْ

([1]) حميد بن ثور: ديوانه، ص ١١٧. سحبان وائل: مثل في البيان، باقل: مثل في العي، اللقم: سرعة الأكل والمبادرة إليه.

([2]) نفسه، ص ١١١. الصريخ: المستغيث، ملجم: اسم فاعل من ألجمت الفرس، سافع: آخذ بناصية مهره ليلجمه.

([3]) هو مزرد بن ضرار الغطفاني، وحينما سمع قصيدة كعب اللامية التي ذكر فيها الحطيئة ولم يذكر غضب وقال:

أنت امرؤ من أهل قدس أوارة أحلتك عبد الله أكناف مهبل

فرد عليه كعب بهذه القصيدة.

فإن تسألِ الأقوامَ عني فإنني أنا ابن سلمى على رَغم من رَغَمْ

أنا ابن الذي قد عاشَ تسعينَ حِجَّةً فلم يخزَ يومًا في مَعَدٍّ ولم يُلَمْ

وأكرَمَه الأكفاءُ في كلِّ معشرٍ كرامٍ فإن كذَّبتني فاسألِ الأُمم

أنا ابنُ الذي لم يُخزني في حياتِهِ ولم أخزِهِ حتى تغَيَّبَ في الرَّجَمْ

فأُعطيَ حتى ماتَ ملًّا وهمةٌ وورَّثَني إذ ودَّع المجدَ والكَرم

وكانَ يُحامي حين تَنزِلُ لَزْبَةٌ من الدهرِ في ذُبيانِ إن حوضُها انْهَدَمْ

أقول شبيهاتٍ بما قال عالمًا بهنَّ ومن يُشبه أباه فَما ظَلَمْ[1]

تحظى هذه الصورة بعدة دلالات صوتية تظهر في الألفاظ (أبلغا، أيقظان قال القول إذ قال، تسأل، اسأل، أقول شبيهات بما قال عالمًا) للتعبير عن الحسب والنسب الطيب، فقد يفتخر الشاعر بنفسه فيقول بلغوا مزرد بن ضرار هل هو مستيقظ حينما قال ذلك أم نائم، ويقول له اسأل الأقوام عني فأنا ابن سلمى الذي عاش تسعين عاما لم يُخز ولم يُلَم وأكرمه سادات القوم والجميع يعرف ذلك، ثم قال وتلك الصفات الحميدة التي يتصف بها أبي أتصف بمثلها؛ لأني أشبه أبي، وبذلك يكون الشاعر قد رسم صورة سمعية للدلالة على الحسب والنسب الطيب.

ومما سبق يتبين لنا أن الشاعر المخضرم قد وَظَّفَ ألفاظ السمع عبر السياق لرسم صورة سمعية للدلالة على معانٍ عديدة ومختلفة، فقد وظفها للدلالة على السرعة، والنفاق والخداع، والهوان والضعف، والجمال، والشرف والعفة، وكذلك الفرح والسرور.

(1) كعب بن زهير: ديوانه، ص ١٤٨. المُعَرِّض: يعني مزرد بن ضرار، الوحى: الكتابة، الرجم: القبر، لزبة: شدة.